

(من كتاب الحج وروح العبادة فيه)

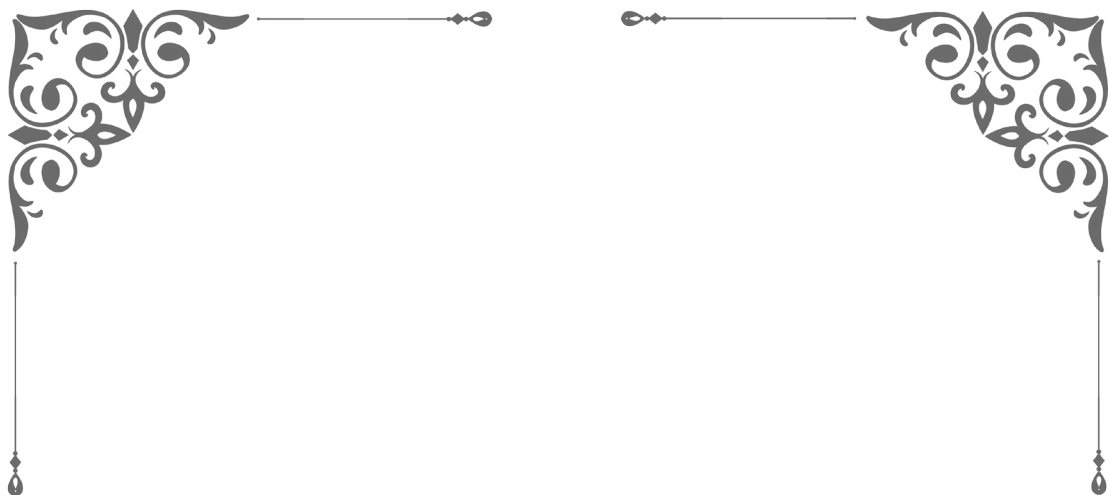
(٦)

الإحرام ومظاهر العبودية فيه

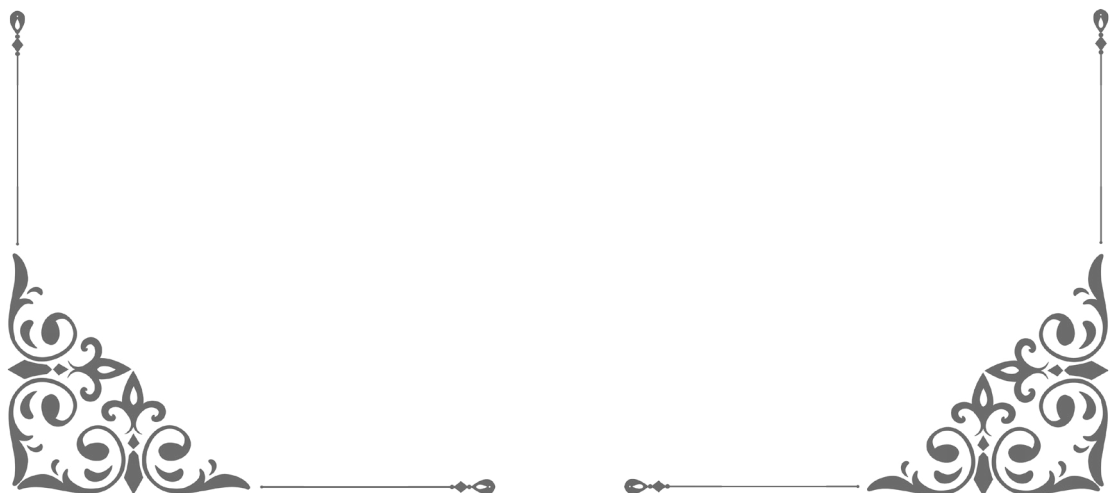


تأليف

عادل بن عبد العزيز الجهني



محفوظ جميع الحقوق





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كُلُّ مَنْسَكٍ مِنْ مَنْاسِكِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ تَظْهَرُ مَعَهُ الْعِبَادَةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، بما تتحقق به للعبد الموفق تقوى الله عز وجل، التي هي أعظم زاد يتزود به في سفره لهذين المنسكين أولاً، ثم في سفره إلى ربه بعد ذلك في كل حياته.

وَفِي الْإِحْرَامِ مَظَاهِرٌ لِلْعِبَادَةِ لَا يُحَاطَ بِهَا، وَحِكْمٌ تَفُوقُ الْعَدَّ، ويعجز عنها الحصر.

فَمِنْ مَظَاهِرِ الْعِبَادَةِ فِي الْإِحْرَامِ: لِبَاسُهُ.

فحين يتجرّد المُحْرَم من لباسه المعتاد، ويلبس لباساً خاصاً بالإحرام، فإنّ هذا ليس مجرد خلع للملابس المعتادة ولبس رداءٍ وإزار مكانها، وإنّما هو التعبّد لله بالاستجابة التامة لما أمر به، ومن ثمّ فإنه ينبغي للمُحْرَم ألا يغيب عنه احتساب ذلك عند ربه، فإنّ الثواب يزداد مع الاحتساب.



وانظر كيف لا يرى الناس في لباس الإحرام شيئاً، بخلاف ما لو خرج أحدهم على الناس بلباسه الداخلي؛ لأنه قد استقرَّ عندهم أن لباس الإحرام لباسٌ تعبُّدٍ لله تعالى في هذا النُّسك.

وتأمل في فضل الإحرام لتحمد الله على هذا الاصطفاء، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "وما من مؤمنٍ يظلُّ يومه محرماً إلا غابت الشمسُ بذنوبه" (١).

وهذا فضل كبير من الرحمن **جَلَّ وَعَلَا**.

وفي لباس الإحرام: الإشارة إلى أن الزينة الكاملة التي يرتضيها الله من عبده، هي زينة الباطن، وأمَّا زينة الظاهر فليست عند الله بمكان ما لم يتحلَّ العبد بزينة الباطن، وهي التقوى، فإذا اجتمعت الزيتان الباطنة والظاهرة مصحوبتين بالاحتساب، فإن ذلك ممَّا يُحبه الله.

ومن مظاهر العبودية في الإحرام: استجابة المؤمن لربه بالإحرام من الميقات الذي حدّته له الشريعة، فقد وقت النبي

(١) رواه الترمذي والنسائي.



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلأُمَّةِ مَوَاقِيتَ لَا يَجُوزُ لَهُمْ تَجَاوُزُهَا إِذَا قَصَدُوا مَكَةَ لِلْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَاسْتَجَابَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ لِهَذَا الْأَمْرِ، حَتَّى إِنَّكَ لَتَجِدُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِحْتِيَاظِ فِي هَذَا مَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَهَذَا مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ طَاعَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ، وَفِي هَذَا مِنَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ مَا فِيهِ.

وفيه الإشارة إلى عظمة البيت الحرام؛ إذ إنه لا يأتيه أحدٌ نَاقِياً الْحَجِّ وَالْعُمْرَةَ إِلَّا وَجِبَ عَلَيْهِ الْإِحْرَامُ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاقِيتِ الْمُحَدَّدَةِ؛ لِيَكُونَ فِي النَفُوسِ تَعْظِيمٌ لَهُ، وَلِتَكُونَ رِحْلَتُهُمْ لَهُ مَغَايِرَةً لِسَائِرِ الرِّحَالِ، فَهِيَ رِحْلَةٌ يَقْصِدُ أَصْحَابُهَا التَّقَرُّبَ إِلَى رَبِّهِمْ فَحَسَبَ، فَلَيْسَ فِي مَكَةَ أَنْهَارٌ أَوْ زُرُوعٌ أَوْ جَوٌّ يَطِيبُ الْمَقَامَ فِيهِ، وَلَكِنَّهَا رِحْلَةٌ لِقْصِدِ الْعِبَادَةِ.

وقل مثل ذلك في الميقات الزماني للحج، فلا يُحْرَمُ بِالْحَجِّ إِلَّا فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، وَهِيَ: (شَوَّالٌ، وَذُو الْقَعْدَةِ، وَعَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ) وَلَوْ أَحْرَمَ أَحَدٌ قَبْلَ شَهْرِ شَوَّالٍ لَمْ يَنْعَقِدْ إِحْرَامَهُ.



ومن مظاهر عبودية الإحرام: أنَّ المُحرم تحرم عليه أشياء هي في أصلها مباحة، فلا يُغطي الرجل رأسه، ولا يلبس المخيط، ولا تنتقب المرأة ولا تلبس القفّازين، ويتعدون جميعًا عن الطيب، وتقليم الأظافر، وقص الشعر، والجماع، ومباشرة النساء، وعقد النكاح، وقتل الصيد.

كل ذلك يتركه المحرم تَعَبُّدًا لله واستجابة له، وفي هذا الترك والاستجابة الأجر العظيم.

وللإحرام حكم كثيرة، فمن حكم الإحرام: التجرد من مُتَع الدنيا وزينتها؛ ليكون القلب منشغلًا بأمر الآخرة، ومعتنيًا بالنسك الذي دخل فيه، فالإحرام مبناه على مفارقة العادات في الترفُّه، يقول الإمام النووي بعد ذكر محظورات الإحرام: **(قال العلماء: والحكمة في تحريم اللباس المذكور على المحرم ولباسه الإزار والرداء أن يبعد عن الترفُّه ويتصف بصفة الخاشع الذليل، وليتذكر أنه محرم في كل وقت، فيكون أقرب إلى كثرة أذكاره، وأبلغ في مراقبته وصيانه لعبادته، وامتناعه من ارتكاب المحظورات، وليتذكر به الموت ولباس الأكفان، ويتذكر البعث**



يوم القيامة، والناس حفاة عراة مهطعين إلى الداعي، والحكمة في تحريم الطيب والنساء أن يبعد عن الترفه وزينة الدنيا وملاذها، ويجتمع همه لمقاصد الآخرة).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الإحرام مبناه على مفارقة العادات في الترفه، وترك أنواع الاستمتاعات؛ فلا يلبس اللباس المعتاد، ولا يتطيب، ولا يتزين، ولا يتظلل، ويلتزم الخشوع والاختشيان، ويقصد بيت الله أشعث أغبر).

وفي الإحرام: إظهار التذلل لله، فالمحرم يحسر عن رأسه، ولا يغطيه بشيء تعبدًا لله تعالى، كما إنه يحلق شعره أو يقصره بعد الانتهاء من حجه وعمرته تعبدًا لله، واستحضار هذا مما يحضر القلب في العبادة، ويجعل الأجر فيها أعظم.

وفي الإحرام: التذكير بالدار الآخرة، وهي الدار الحقيقية للإنسان، التي هو صائر إليه ولا بد، وسيبقى فيها أبد الآباد، فيتجرد من اللباس ليعلم أن خير لباس هو لباس التقوى، ويتخفف من حوائج الدنيا إلا ما لا بد له منه؛ ليوثق أن الدار الآخرة هي التي تستحق العمل والزاد.



وفي الإحرام: يتجرّد المُحرّم من اللباس ليتذكّر تجرّده من لباسه بعد الموت، حين يُجرّده المُغسّل بعد موته، فلئن كان اليوم يُجرّد نفسه، فسيأتي يوماً يُجرّد من لباسه دون اختيار منه، فليت شعري ما حال أحدنا يوم يُجرّد من اللباس، ويُقلّب ويُغسّل ليواري التراب، ويستقبل الدار الآخرة والحساب.

وعند الهمّ بالرحلة للحجّ يُفارق المُحرّم الأهل بطوعه، متذكّراً فراقه لهم بغير طوعه ساعة مغادرته الدنيا بلا رجعة، ولئن فارقهم اليوم على أمل العودة، فسيكون فراق الغد بلا عودة، وستكون رحلةً بلا رجعة، وانتهاءً حياةً وبدايةً أخرى، فحريّ بنا تذكّر هذا لنعمل لهذا اليوم الذي لا بدّ منه.

ومن حكم الإحرام: الاستعداد لعبادة الحجّ والعمرة قبل البدء بهما، إذ إنّ المُحرّم يمتنع عن كثير من المباحات فضلاً عن المُحرّمات من حين إحرامه إلى أن يبدأ بالطواف؛ فيكتسب عبادة حفظ النفس عن الحرام، وحفظ الجوارح عن الآثام، وشغل النفس بطاعة التلبية حتى يبدأ بالطواف.



وَمِنْ حِكْمِ الإِحْرَامِ: زرع فضيلة التواضع في القلوب، وإخضاع النفس للتذلل لله والاستجابة لأمره، فالمُحْرَمُ تجرّد من لباسه، وساوي غيره في هذا اللباس، وينبغي لمن عزم على الحجّ أو العمرة أن يكون متواضعًا فيهما، فإنّه إنّما يقصد القربة إلى ربه في هذه العبادة - وليس سوى ذلك - وكان رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في حجّته - وهو سيد ولد آدم - متواضعًا، يقول أنس بن مالك **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:** (حجّ النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على رَحْلِ رَثٍّ، وقטיפه خَلِقَةٌ تساوي أربعة دراهم، أو لا تساوي، ثم قال: "اللهم حجة لا رياءَ فيها ولا سُمعةً")^(١).

وورث أصحابه منه هذا التواضع في هذه العبادة، فعن ثمامة قال: (حجّ أنس على رحلٍ، ولم يكن شحيحًا، وحدث أن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حجّ على رَحْلِ، وكانت زاملته)^(٢). والراحلة هي التي يركبها المسافر، والزاملة هي التي يحمل عليها طعامه ومتاعه، والمقصود أنه بلغ من تواضعه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وقلة

(١) رواه الترمذي في "الشمائل" وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري.



ما معه من طعام ومتاع أنّه لم يحتاج إلى أن يكون له راحلة وزاملة، بل كانت راحلته هي زاملته.

إنّ هذه المعاني وغيرها إذا سكنت في نفس المُحرم فإنّه سيؤدي عبادة الحجّ والعمرة على أكمل الوجوه، بخلاف من يذهل عنها ولا يستحضرها.

ومن حكم الإحرام: أنّ الله وحّد لباسه بين الحُجّاج والمُعتمرين ليظهر التساوي بينهم أبيض ما يكون، فلا فرق بين أمير وخفير، ولا بين غني وفقير، ولا بين عالم وجاهل، ولا صحيح ومريض.

ومن حكمه - خصوصاً في زماننا هذا -: ما يشدّ النَّاس من منظر المُحرمين وهم صفوف في صلاتهم، وفي طوافهم وسعيهم، وفي سيرهم بين المشاعر، وما تنقله وسائل الإعلام للعالم من هذه المناظر المؤثرة في الناظرين، ممّا يستدل به على عظمة شرع الله وكمالهِ، ويوقن من رآه أنّه من لدن حكيم خبير.

فأقبل على ربك مع أوّل هذه العبادة بقلبٍ ممتلئٍ شكرياً للربّه أن اصطفاك لهذا الفضل، واختارك لأداء هذا النسك، وأن تكون مع أهل الوقوف في عرفات هذا العام.



وَيُسْتَحَبُّ لِلْمُحْرَمِ التَّنْظِفُ، وَالِاغْتِسَالُ عِنْدَ الْإِحْرَامِ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اغْتَسَلَ لِإِحْرَامِهِ. رواه الترمذي.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَغْتَسِلَ عِنْدَ إِحْرَامِهِ وَعِنْدَ مَدْخَلِ مَكَّةَ) (١).

واستحباب الغُسل عن الإحرام هو مذهب جمهور العلماء، قال الشيخ ابنُ باز رَحِمَهُ اللهُ: (ولِما فيه من النظافة والتنشيط، ولأن المدة قد تطول، فيكون الاغتسال فيه نشاط وقوة ونظافة) (٢).

ويُشرع له الطيب في البدن لا في اللباس قبل عقد الإحرام، تقول عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (كُنْتُ أُطِيبُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ، وَلِحِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ) (٣).

يقول الإمام ابنُ باز رَحِمَهُ اللهُ: (فالسنة له أن يتطيب كما كان النبيُّ يفعل، يغتسل ويتطيب حتى يبقى في حال الإحرام في حالة حسنة، ورائحة طيبة) (٤).

(١) أخرجه الحاكمُ والبيهقي.

(٢) [شرح المنتقى: باب الغسل للإحرام والوقوف بعرفة ودخول مكة]

(٣) رواه البخاري.

(٤) [شرح المنتقى: باب الغسل للإحرام والوقوف بعرفة ودخول مكة]



الإحرام ومظاهر العبودية فيه



ويُستحب الإحرام عقب صلاة وذلك باتفاق المذاهب الأربعة
فيكون بعد صلاة فريضة أو سُنّة ضحى أو سُنّة وضوء، أو تحية
مسجد، وليس له صلاة مستقلة.
سهل الله لك أداء النسك على أكمل حال، وجعلك من
المقبولين.

